



# العاشرة مجلة

المجلد الثالث، ٢٠١١

مجلة مسجلة لدى المسجل للجرائد في الهند (RNI) برقم KERARA00011  
ومجلة معتمدة لدى جامعة كيرلا، الهند



قسم العربية، كلية الجامعة، تروننترم، كيرلا، الهند، 695034

## الربيع العربي : منطلقاته وأبعاده

د/ جمال الدين الفاروقى

أستاذ مشارك، قسم العربية، كلية دبليو. م. أو.، متيل، وينادو، كيرالا، الهند

شهد العالم كله في العام المنصرم ذبذبات الربيع العربي الذي ازدهر في ظل ثورة الياسمين، وهذه الثورات الشعبية تطرح أمام العالم المعاصر عدة تساؤلات. وقد أدرك الحكم العرب من خلالها خطورة الأحوال التي يمررون بها. وتعرضت الأيديولوجيات والمفاهيم الموروثة في المجالات الإدارية والثقافية والاقتصادية والدينية لانتقاد عنيف من كل الأوساط، مما اضطروا إلى إعادة النظر فيها وصياغة منهج بديل ينسجم مع تطلعات شعوبهم ويتمشى متطلبات عصرهم ومصرهم. والربيع العربي في منطلقاته وأبعاده قد أضاف إلى تاريخ



الثورة العالمية بابا جديدا. وهو بذلك يُعتبر فاتحة مرحلة جديدة في مسيرة الشعب العربي كما أن هذه الثورات ستسجل على صفحات التاريخ شهادة موقفهم الباسل والغيور ليقرأها الأجيال القادمة ويتحمسوا بها، وقد كان المتفقون الغرب ومفكروهم يزعمون أن رحى التاريخ البشري توقفت عن الدوران وأن العالم المنفتح أصبح في مرحلته الحاسمة إلى ما بعد الحادثة، إلا أنهم بهتوا وانبهروا أمام بوارق هذه الثورات التي لم تكن ثورة حزب بل كانت ثورة شعب بأكمله.

### الخلفية

الربيع العربي الذي يتمثل في الثورات الشعبية الراهنة بطلها الرئيسي ذلك الفتى التونسي محمد بو عزيزي أحد تجار التباريز التونسية، وقد أضرم جسمه بالنار وانتحر، احتجاجاً على الفساد الإداري الذي يتمثل في مصادرة عربته وسوء معاملة المسؤولين إياه. حدث ذلك في السابع عشر من ديسمبر ٢٠١٠. وانطلقت موجات السخط والمقت على الرئيس التونسي زين العابدين بن علي وحاشيته الذين انغماسوا في البرطلة والجور، وقد أعلن زين العابدين بعض الحلول لإرضاء الشعب، إلا أنه لم يستطع الوقوف أمام الانتفاضة الشعبية الجارمة التي تكافف فيها المواطنون من كل حدب ونحله بعد أن سئموا من معاملات الحكم القاسية، ولم يلبث أن تجاوיבت أصوات هذه الثورة في البلدان المجاورة واندلعت شراراتها في البحرين ولبيبا وسوريا ومصر واليمن، وتمحضت عنها أحداث صغيرة وكبيرة وعصفت باستقرار البلاد وأمنها، حتى انتهت سلسلة الأحداث في فرار زين العابدين إلى المملكة العربية السعودية ومقتل معمر القذافي وسجن محمد حسني مبارك. ولكن ملامح الربيع العربي تتجلى بصورة أكثر وضوحاً في فترة الأربعينات من القرن الماضي، والذي نشاهده الآن امتداد لها، إذ تشكل حزب البعث عام ١٩٤٦ وكان وراء تأسيسه رجالاً لهما بالغ الآثر في تحريك الشعب العربي إلى مصارعة الطغيان والاستبداد. وهما صلاح البطر وميكل الأفلاخ في سوريا، وكان الأول مسلماً من أهل السنة والثاني مسيحياً من الأرتوذكس، ورفعوا راية الاشتراكية كأيديولوجية النمو الاقتصادي، كما ركنا إلى المواطن العربية (العروبة) بدلاً من الوحدة العربية على أساس الديانة الإسلامية، وقدموا فكرتهم بخصوص ضرورة وحدة العرب العلمانية لأجل استصال جذور الاستعمار الخارجي، وما إن مضت إلا أيام حتى تجذرت البعث في أرض العراق ومصر وقويت شوكتهم حتى تقلدوا مناصب الحكم .

وقد كان لأفكارهم الجديدة قبول واسع بين الأدباء آنذاك، وكان طه حسين عميد الأدب العربي الحديث يقف إلى جانبهم وهو من رواد التجديد والحداثة العربية في مصر، ورأى أن التقدم المنشود يتطلب أن يتكاتف الشعب في درب المواطنة العربية العلمانية، ومن هذا المنطلق قام طه حسين بإدخال التجديدات الدراسية في المدارس الدينية بمصر حين تقلد وزارة المعارف في أيام جمال عبد الناصر، مما جلب إليه انتقاد المترددين الراغبين في البقاء على التقليد. وقد توارث الشعب العربي روح التحرر والاستقلال من هذه الأفكار التي بثتها الأدباء والشعراء، ورأوها دافعاً لهم للتخلص من قبضة الاستعمار الذي استغل رجاله خيرات بلادهم وبركاتها، وهذا هو الشاعر محمود سامي البارودي يقول:

عديد الحصى إني إلى الله راجع

أصبراً على مس الهوان وأنتم

ويقول الشاعر إلياس أبو ماضي:

وتشبهوا بالصرب واليونان

ثوروا عليهم واطلبو استقلالكم

كما تبلورت هذه الأفكار في شعر معروف الرصافي وهو يقول:

فسم الفتى ميتاً وموطنه قبراً

إذا لم يعش حراً بموطنه الفتى

وقد كانت لشعر أبو القاسم الشابي أبعاد ثورية أوسع مما سبق وهو يقول:

فلا بد أن يستجيب القدر

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

ولابد للقيد أن ينكسر

ولا بد لليل أن ينجلِّي

ولاشك أن الشعب العربي المعاصر استلهموا حماستهم الاستقلالية من مثل هذه الأفكار الجياشة التي كان يعيشها آباؤهم وأجدادهم. وكان الرئيس العراقي السابق صدام حسين أحد أتباع حركة البعث، إلا أنه مال إلى الاستبداد فصب عليه الشعب العراقي جام غضبهم، واستغل ذلك القوات الأمريكية وانتهى الأمر في القبض عليه وشنقه. واقتصر نفوذ البعث الآن في سوريا، ولم يكن موقف بشار الأسد مختلفاً كثيراً عن نظيره العراقي مما حمل هيئة الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية أعلناً مقاطعتهم لسوريا، غير أن بشاراً أعلن قبل هذا المساواة في الحقوق بين المسلمين والنصارى، وذلك اعترافاً بالتعديدية الثقافية القائمة في بلده.

### حكام العرب و موقفهم

إن من ميزات العصر الراهن أن الشعب - في الصعيد المحلي والعالمي - بدأوا يعودون إلى رشدتهم مستلهمين وعيهم من واقع الحياة. وذلك بعد طول معاناتهم من الفساد الإداري والاقتصادي الذي يظل يخيم على نظام الحكم منذ طويل. وعلى الرغم من شعارات هيبات الحقوق الإنسانية ونعراتهم، إلا أن أعمالهم تبقى خطأ على الماء، ولا يجد هؤلاء الشعب من يقف بجانبهم للدفاع عنهم وإرجاع الأمور إلى نصابها. ومن الحماقة والبله أن نعتقد أنهم يصبرون على الهوان والذل طول حياتهم. وقد كان معظم البلد الآسيوية الغربية والإفريقية الشمالية تحرروا من براثن الاستعمار مع منتصف القرن العشرين، وكان مما ينبغي على حكامها أن يأخذوا بشعبهم إلى طريق الرقي والعز ويوهلموا مواكبة ركب الحضارة، مستخدمين ما في بلادهم من الموارد الطبيعية، إلا أنه حدث بالعكس، وقد انعكس هؤلاء الحكام في ملذاتهم الذاتية ونهبوا أموال الدولة وعم التعطل والفوضى والفساد بين العباد والبلاد، ومن جانب آخر إن القوات الإمبرالية من أمريكا وأوروبا احتضنوا هؤلاء الحكام بدلاً من تصويبهم وتوجيههم، ودحضوا الحق والحقوق سعياً منهم لإبقاء تلك البلاد في

حالاتهم المتربدة ليكون أهلاً وولاتها تحت إمرتهم ورهن إشارتهم، حتى إن هيئة الأمم ظلت هي الأخرى في معظم الأحيان تمثلاً وأمام خذلان الشعب. ومن منظور ديني ينبغي أن نطالع هذه الأحداث السياسية ونقلبات الملك وتحولات الإمارة ونقيمها جزءاً من السنة الإلهية في الكون كما ينطلق ذلك من قوله تعالى: "قُلْ لَّهُمَا مَالِكُ الْمَلَكُوتِ تَوَتَّى الْمُلُكُونَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزَعُ الْمُلُكُ مِنْ تَشَاءُ، وَتَعْزُّ مِنْ تَشَاءُ وَتَذَلُّ مِنْ تَشَاءُ ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (آل عمران، الآية: ٢٦).

### أبعاد الوعي الشعبي في البلاد العربية

ومن الجدير بالذكر أن هناك عدداً كبيراً من اليساريين والعلمانيين الذين يحلمون تغييراً اجتماعياً وإدارياً شاملًا في ليبيا وتونس ومصر حيث تم إطاحة الاستبداد والطغيان، ولم يختلف الأمر كثيراً بالنسبة إلى معظم البلاد العربية الأخرى. وقد هب نسمة الحرية في البلاد المذكورة في أعقاب الثورات، وكانت تونس أكثر البلاد العربية إقبالاً على الحداثة والمعاصرة وأدومها للتغريب، إلا أن الانتخابات العامة المنعقدة هناك في ٢٣ أكتوبر الماضي لم يمؤشر صادق إلى طموحات الشعب التونسي، وذلك أنهم لم يعودوا يرضون بالعلمانية والاشتراكية الغربية، بل وأكثر من ذلك كانوا يتطلعون إلى إقامة نظام إسلامي، يدل على ذلك أن حركة "النهضة" تحت زعامة السيد راشد الغنوشي فازت بالأغلبية ونالوا ٩٠ عضواً من أصل البرلمانيين البالغ عددهم ٢١٧ عضواً، ويقاد يتفق المرافقون السياسيون على أن النهضة ستأخذ زمام تونس وتقوم بدورها في تشكيل الدستور التونسي عن قرب. كما أن مصر هي الأخرى مثلاً لنفوذ العنصر الإسلامي وميول الشعب نحوهم، وقد وفقت لجامعة "الإخوان المسلمين" والحركات السلفية هناك ليحرزوا ٦٠ في المائة من أصوات الانتخابات العامة في مرحلتها الأولى، والمناطق المصرية التي ستجري فيها الانتخابات، أكثر كثافة للمسلمين المتدينين مما لم يبق شك في أن الشعب الإسلامي سيكون لهم الفدح المعلى في نظام الحكم، وسوف توضع بصماتهم في صياغة مستقبلها ورسم مسار شعبها. وينتظر العالم ماذا سيجري في ليبيا بعد مقتل حاكمها معمر القذافي، وقد صارت أرضها - فيما يقال - مسرحاً للفئات الجهادية والحركات الإرهابية، وأعلن أحد زعمائها السيد عبد الحكيم أنهم لن يرضوا في أية حال بنظام مخالف للشريعة الإسلامية، وأنه يحاول تطبيق الشريعة بكل اعتبارها حين يتم تشكيل الحكومة الجديدة. ولكن السؤال الذي يفاجئنا بهذا الخصوص هو هل يمكن إقامة نظام إسلامي في أرض يقوم فيها اليساريون والعلمانيون بدورهم ونفوذهم ويجهدون باستعادة الحرية إلى نصابها ويحتضنون النزعات الديمقراطية العلمانية لكي يضمنوا للشعب فرصة التعايش مع التعددية كما يزعمون.

### الاعتراف بالواقع الملموس

ومن جهة أخرى نرى الحكم العربي يعترفون بضرورة إيجاد تغيير مفيد في نظام الإدارة والاقتصاد وفي جميع مراحل الحياة الاجتماعية تلبية لحاجات الشعب، وقد انعكس اهتمامهم هذا بصورة كاملة في مؤتمر القمة لمجلس التعاون لدول الخليج المنعقد في الرياض في آخر شهر ديسمبر الماضي. حيث ألقى الحاكم السعودي خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله مقولته في قصر الدرعية بالرياض بحضور رجال الإدارة والحكام والمسؤولين الكبار ورجال الإعلام وهو يقول: إن العبرة التي نستلهمها من دروس التاريخ الراهن هي لا نقف مكتوفي الأيدي في بهوة الناظرين أمام هذه الأحداث، وقد آن الأوان أن نتحرك بعزيم وحزم بالغين نحو الأمام لنواجه الواقع بعين الواقع مستهدفين إيجاد التضامن الشعبي في صفوفنا ناسين كل عناصر التفرقة وعوامل الشتات، حتى يستطيع شعبنا للسير نحو القادم الأفضل، أما إذا رضينا لأنفسنا الهوان والذل واكتفينا بما نحن عليه الآن فإن مقامنا سيكون في دبر القافلة. وقد أكدت كلماته هذه على ضرورة التآلف والتآخي لأجل تحقيق أمن البلاد وسلامة العباد. كما توصل هذا المؤتمر إلى ضرورة إيجاد اتحاد بين

الدول الأعضاء السنت سعياً وراء المزيد من الإنجازات الصناعية والاقتصادية لضمان للشعب مسبلاً زاهراً، وقد قوبل هذا القرار باهتمام الأوساط السياسية والإعلامية ولا يزال النقاش يجري حوله. وكانت كلماته إنذاراً في لهجته الصريحة لمن يغفل عن هذه العواصف الهوجاء التي أفلتت الأدوات الكبيرة بدءاً من تونس ومروراً بمصر ووصولاً إلى اليمن ولبيباً، وهذه الأحداث التي جرت على بعد رمية حجر من دول الخليج بعثت تحديات عنيفة لكل الدول العربية الخصبة التي ما زالت تتمتع بنصيب وافر من موارد النفط والغاز الطبيعي.

وقد شهد التاريخ أن العالم العربي استرد هويته - تلك الهوية التي سلبتها بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الأولى حيث وقعوا اتفاقية ساكس بيوك Sykes-Picot عام ١٩١٦ التي تتنص على تقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا. واستطاعوا للتغلب عليها والتحكم على القضايا التي يتم بموجبها تقرير مصير الشعب في العالم العربي والإسلامي مما وضع حد لنفوذ الآخرين على هذه المنطقة. ومن الملحوظ قيادة الشعب العربي في دول الخليج قدموا خططين ليستفيداً منها نظام الحكم في المنطقة، أو لا هما: النموذج التركي الذي يتمثل في الجمع بين العلمانية والأصولية الإسلامية لكي يتم التعايش مع مفهوم التعددية والنظام الاقتصادي العالمي، وقد أبدى كل من تونس ومراش رغبتهما في تطبيق هذه الخطة، والخطة الثانية التي يتزعمها دولة إيران والتي محورها التشيع الأعمى والمواطنة الفارسية - وهي بذلك متطرفة تشكل خطراً دائماً للمنطقة. وقد أشار الصناعي الكبير السيد علي بو علوى إلى دور إيران في تنشيط الربيع العربي، وهناك من يدين إيران على موقفهم الإيجابي من هذه الثورات إذ كانوا يدعمونها بالعدة والعتاد، وقد تعرض موقف الإيران والإسرائيل لانتقادات شديدة من زعماء البلاد العربية كخطوة سابقة لمؤتمر القمة الخليجية، وقد أبدى السيد تركي الفيصل السفير السعودي السابق لدى الولايات المتحدة ورئيس مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية قلق الشعب السعودي حيث يقول: إن إيران وإسرائيل مصرون على ممارستهم النووية التي تهدد الكيان العربي، وأكد بضرورة توحيد الصفوف العربية لأجل الوقوف في وجه القوات الخارجية الذين يترbusون الدوائر بالشعب العربي. وقد خطة بناء الوحدة العربية التي تضم الدول الخليجية السنت والتي تأتي في إطارها بناء فكرة الجزيرة العربية الموحدة، فيكون نظام موحد لمجلس الشورى والنشاطات العسكرية والدفاع العام والعملة وصناعة تكنولوجيا المعلوماتية والدراسات العلمية. وقد أشار إلى الأوضاع المتغيرة الراهنة التي يعيشها الدول المتقدمة مثل الهند وبرازيل ويانان والاتحاد الروسي وتركيا.

وهذه الفكرة التي قدمها تركي الفيصل بجانب أهميتها في إطار التعاون المتبادل، تهدف إلى ترقية المنطقة العربية شعوباً وحكاماً، مثل ما يشاهد في شأن الاتحاد الأوروبي الذين بدأت مسيرتهم على النظام الموحد في المجالات المذكورة حتى يسهل على الشعب العربي التغلب على التحديات والأزمات الطارئة بصورة ناجحة - الأمر الذي جعل الحكم العرب في مجلس التعاون يوافقون عليه. ولم يكن التحديات الخارجية فقط، بل الحقائق الداخلية أيضاً تدعوا زعماء المجلس إلى مطالعة الواقع المكتوب في جدران الزمان، وهو على حد تعبير خالد معونة الصحفي الشهير - الاهتمام بـ "طموحات الأجيال" المعاصرة في البلاد ولا يمكن السير إلى الأمام إلا بالاعتراف بقدراتهم ومهاراتهم ومتطلباتهم، وهؤلاء الأجيال يطلق عليهم "أجيال شبكة الإنترنت الاجتماعية" (social network generation). ولا حدود جغرافية تفرقهم ولا حواجز زمانية أو مكانية تبعد بعضهم عن الآخر. وإذا تحققت هذه الخطط فسوف تكون هناك قفزات واسعة سريعة في كل المجالات. ولكن الحقيقة التي لا ينزع فيها اثنان ولا ينطح فيها عنان - كما يقال في المثل - ضرورة الاعتراف بالتعددية الدينية والثقافية والاجتماعية وإدارة الحكم بما يناسب مصلحة الجميع.